KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

السياق غير اللغوي في معجمات الألفاظ

أ.م.د. زهراء نور الدّين قاسم
الباحثة رسل أحمد جواد
كليّة التّربية للبنات/ جامعة الكوفة

المُلخّص:

الغاية من هذا البحث هو دراسة السياق غير اللغوي في معجمات الألفاظ , وذلك بذكر أمثلة وافية تؤكّد الظاهرة وتبيّن أنماطها وأركانها المختلفة , وقد حاولت أن أعرض هذه الظاهرة في معجمات الألفاظ القديمة كلّها من العين(١٧٥هـ) حتى تاج العروس(١٢٠٥).

وقد انتظم البحث بمقدمة, وتمهيد لتعريف مفهوم السياق لغةً واصطلاحاً والسياق غير اللغوي , وخاتمة لأهم النتائج المستخلصة منه.

وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة منها: إن عناصر السياق غير اللغوي في المعجمات قائم في الغالب على العناصر اللغوية المقامية التي تعتمد على معرفة المقام وقضايا التأريخ والجغرافية والمحيطات النصية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: السياق، المقام، معجمات الألفاظ.

Abstract:

The purpose of this research is to study the non-linguistic context in the lexicons of words, by mentioning ample examples that confirm the phenomenon and show its different patterns and pillars.

The research was organized with an introduction, a prelude to defining the concept of context, linguistically and idiomatically, and the non-

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

linguistic context, and a conclusion to the most important results drawn from it.

The research reached important results, including: The elements of the non-linguistic context in the dictionaries are mostly based on the linguistic elements that depend on the knowledge of the place and issues of history, geography and other textual surroundings.

Keywords:

المقدمة:

يُعد السياق من أهم مناهج دراسة المعنى في اللغة , فالمعاني التي تكتسب من السياق هي أهمّ مستوى من مستويات المعاني؛ إذ بها يتمّ التفاهم بين الناس , فمعرفة المعنى الأساسي للكلمات لا تكفي , وربما تحمل اللفظة أكثر من معنى , ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد.

التّمهيد: مفهوم السياق لغةً واصطلاحاً والسياق غير اللغوي:

تعد نظريّة السياق منهجا من أهم مناهج دراسة المعنى في اللغة، فالمعاني التي تكتسب من السياق هي أهمّ مستوى من مستويات المعاني؛ إذ بها يتمّ التفاهم بين الناس، وبوساطتها ننقل المعاني والأفكار إلى الآخرين، إنّ السياق يجمع المعاني المرادفة ويوصلها إلى ذهن القارئ، وفق قرائن لفظية ومعنوية تسير بالمعنى نحو الغاية المقصودة، فمعرفة المعنى الأساسي للكلمات لا تكفي، وربما تحمل اللفظة أكثر من معنى، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد، أي إنّ السياق يحدّد المعنى المفتوح في الكلمة[1].

السياق لغة:

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

إنّ الباحث في المعجمات تستوقفه جملة من الدلالات لمادّة (س و ق)، قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدوُ الشّيء، يقال: ساقه يسُوقه سَوقاً، والسَّيقَة: ما أُستِيقَ من الدوابّ، ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ، والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك لأنَّ الماشي ينساق عليها، ويقال امرأة سَوْقاء، ورجلٌ أَسوَق، إذا كان عظيمَ السّاق، والمصدر السَّوَق"[٢].

وفي لسان العرب " وسَوَّاق الإبل يَقْدُمُها ومنه رويدك سَوْقَك بالقوارير وقد انساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة، وفي حديث أُم معبد: (فجاء زوجها يَسُوق أعْنُزاً ما تَساوَقُ)[٣] أيّ: ما تتابَعُ، والمُساوَقة المُتابعة كأنّ بعضَها يسوق بعضاً والأصل في تَساوَقُ تتَساوَق"[٤].

لقد كان ربط لفظ(السياق) بـ(الحديث) منذ عصر الاحتجاج اللغويّ، إلَّا أنَّ ذلك لا يرد في مادَّة (سوق) فيصعب الوقوف عليه بل في مادَّة أخرى نحو مادَّة (هتت): "يقال للرجل إذا كان جيِّد السياق للحديث هو يسرده سردا ويهتُّه هتًّا"[٥]، وقال ابن منظور في مادَّة (سرد): "السرد في اللغة: تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متَّسقا بعضه في إثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيِّد السياق له"[٦]، وفي كتب اللغة الأخرى سوى المعجمات يرد مثل ذلك أيضا، قال يعقوب بن إسحاق بن السكِّيت(ت٢٤٤هـ): "حَدْث و حَدِث: إذا كان كثير الحديث حسن السياق له"[٧]، ممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ معنى (السياق) عند اللغويِّين المتقدِّمين له ارتباط بالحديث وجودة سرده وتتابعه، وهذا يقترب من معناه الاصطلاحيِّ المعروف لدى المحدثين.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

إنّ القاسم المشترك بين هذه المعاني جميعها في هذه المعاجم لكلمة السياق هو "التتابع والسير والملاءمة والاتفاق والنظم، وقد رأينا منها ما يؤدي هذا المعنى مباشرة دون تأويل أو مشابهة"[٨].

السياق اصطلاحا:

إنّ المتقدّمين لم ينصّوا على تعريف السياق اصطلاحا، وإنما نصّوا على أهميّته في دراسة المعنى، وإظهار عناصره ووظائفه، وهذا أدّى إلى تعدد البحوث وتنوّعها[٩].

يستعمل لفظ (السياق) مقابلا للمصطلح الإنجليزي (context) الذي يطلق، ويراد به: "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"[١٠]، يقول ستيف أولمان: كلمة سياق (context) قد استعملت حديثا في عدّة معاني مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهمّ مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليديّ، أي النظم اللفظيّ للكلمة وموضعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة، إنّ السياق على هذا التفسير ينبغي أن لا يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه [١١]، ويُلحظ من التعريفين أن المقصود بالسياق العناصر اللغويّة المؤثّرة في دلالة المفردة داخل النصّ، فضلا عن العناصر غير اللغويّة المؤثرة بدلالتها أيضا.

ولم تُصرِّح المعجمات بذكر المعنى السياقيّ ولم يعرض أصحابها لمفاهيمه بالشرح أو الذكر، إلَّا أنَّ معالجاتهم لمعاني الكلمات يظهر فيها المعنى السياقيُّ بشقيه اللغويُّ وغير اللغويّ واضحا، فالسياق اللغويُّ لا تكاد تخلو منه صفحة من كتب المعجمات القديمة، إذ يبدو أنَّ المعجميّين كانوا يستشعرون ظلالا قويَّة لبعض الكلمات تزاحم معناها المركزيَّ، بل ربَّما لم يجدوا لبعض الكلمات معنًى مركزيًّا واضحا يُختار ويُقدَّم على معانيها الأخرى ثمَّ يُكتفى به؛

فعمدوا إلى إيراد سياق(قطعة لغويَّة صغيرة) أو أكثر يمكن أن ترد فيه الكلمة، وتُعطي فيه معنى محدَّدا يختلف عن معناها في سياق آخر[١٢].

السياق غير اللغوي

السياق غير اللغويّ مجموعة من الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي، ابتداءً من المُرسِل والوسط حتى المتلقّي أو ما يسمّى بالمرسل إليه، بمواصفاتهم وتفصيلاتهم، المتناهية في الصغر[١٣]، يتمثّل السياق غير اللغويّ في الملابسات التي تحيط بعمليّة الخطاب الدائر، وقد اعتقد مالينوفسكي وفيرث أنّ وصف اللغة لا يمكن أن يكون من دون الإشارة إلى سياق الحالة التي تعمل ضمنها اللغة[١٤].

يُعرّف السياق غير اللغويّ بأنّه: ما ينتظم من القرائن المقاميّة التي تُفسّر الغرض الذي جاء النصّ لإفادته، سواء أكانت قرائن عقليّة في الخطاب ذاته أم في المتكلّم أم في المخاطب، أيّ: وجود مكوّن لا كلامي مصاحب للمكوّن الكلامي فيكوّن وحدة كلاميّة محكيّة، أو بعبارة أخرى وجود عناصر غير لغويّة ذات دخل كبير في تحديد المعنى مثل شخصيّة المتكلّم وشخصيّة المخاطَب وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به[١٥].

ذكر الدكتور تمام حسان بأنّ السياق يبدأ "باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفيّة إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسّية ونفسية واجتماعية، كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية، ممّا يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحقّ"[١٦]، ونصّ الدكتور تمّام حسان مهمٌّ جدّا؛ لأنّه يبيّن مساحة اتساع السياق غير اللغوي، فهو يضم مختلف

العناصر حتّى المشاهدات الحسّية والمعطيات التأريخية والجغرافية، فضلا عن المكنونات العرّفيّة والاجتماعيّة من عادات وتقاليد، من شأن معرفتها أن يُعين على فهم النصّ.

إنّ هذا القسم من السياق يُعّد المفتاح الأساسيّ للتحليل اللغويّ، وهو ضروريّ لفهم المعنى؛ لأنّ المعنى لا تؤدّيه الكلمات فحسب، ولا ينبغي قصر تحليله على المستوى الدلالي اللغوي، وإنما جميع المستويات تتضافر لأدائه(١٧). إنّه اصطلاح لدراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه، والذي يتمثّل في العالم الخارجي عن اللغة، بما فيه من ظروف اجتماعية ونفسية وثقافية للمتكلّمين أو المشتركين في الكلام(١٨).

عناصر السياق غير اللغوي

أ – المتكلّم:

وهو العنصر الأساسي في الموقف الكلامي؛ كونه المفعّل للسياق وأدواته وإجراءاته وقد يبتدئ ذلك انطلاقا من شخصيّته وثقافته وملامحه وصفاته وجنسه إن كان ذكرا أو أنثى، ونبرة صوته باعتبار أن لكل متلفّظ نطقا صوتيّا خاصّا يميّزه عن غيره، ومكانته الاجتماعيّة، فاستعمالات اللغة تختلف(١٩)، باختلاف قائليها؛ فقد تكون للكلمة دلالاتها الخاصّة عند شخص معيّن، ومختلفة عند غيره.

ب – المتلقّي:

لا تظهر قيمة الكلام إلّا من المتلقّي؛ فـ"جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرّة الثمينة لا ترى درجتها تعلو، ولا قيمتها تغلو، ولا تشترى بثمنها، ولا تجري في مساومتها على سننها ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها، والراغب فيها خبيرا بمكانها"(٢٠)، إنّ النصّ قد يحمل لفظة تختلف دلالتها بحسب مَن يوجّه له الكلام، فلو قلنا: ملكُك كبير، لشخص غني، فإنّ المُلك سيكون

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

على العقارات والأموال وما شابههن، ولكن لوقلنا الجملة نفسها لشخصٍ فقير، فسيكون معنى المُلك، على أخلاقه وصحّته وسلامته وغيرها من العطايا غير الماليّة.

ت – ملابسات الكلام:

البلاغيون اهتدوا بملابسات الكلام، واكّدوا على ضرورة تكييف الخطاب بحسب تداعيات المقام، مؤكّدين أنّه "لا خير في كلام لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت"(٢١)، وهي إشارة دقيقة إلى تأليف الخطاب بما يعبر عن مقاصده، ويحقّق أغراضه، وعلى أيّة حال فقد وقفنا آنفا على أنّ ملابسات الكلام تضمّ عناصر مختلفة منها: العادات والتقاليد، والتأريخ والجغرافية، والمشاهدات الحسّية، والمقام الذي قيل في القول.

لقد اشتملت معجمات الألفاظ على مجموعة من النصوص كان تفسيرُ بعضِ ألفاظها بحسب معطيات السياق غير اللغويّ ممّا أسهم في غنى المعجمات اللغويّة واتساعها، ومن ذلك شاهدا:

– ء ز ز

إنّ "الهمزة والزاء يدلّ على التحرّك والتحريك والإزعاج"(٢٢)، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾(٢٣)، ففي تفسيرها: "قال الفرّاء: أي: تُزعِجهم إلى المعاصي وتُغرِيهم، وقال مجاهد : تُشْلِيهم بها إشْلاءً، وقال الضحّاك : تُغْرِيهم إغراءً"(٢٤)، وقول الفرّاء في تفسيرها يوافقه المعنى الذي قال به ابن فارس في أصل معنى الجذر.

وذكر الصاحب بن عباد أنّ الأزُّ:" ضَرَبَانٌ من الوجع، وهو يَأتَزُ: أي يجدُ أزّاً، وائتَز الرجل أي استعجل فهو مُؤْتَز، والأزُّ: أن تَؤُزَّ إنساناً تَحمله على أمر برفق واحتيال، والشيطان يَؤُز الإنسان على

المعاصي"[٢٥]، على حين أن أبا عمرو الشيباني في كتابه الجيم قال في معنى الأزّ:" الأزُّ: إدخالك الحطب تحت القدر"[٢٦]، ولم يزِد عليها شيئا تماشيا مع منهجه في الاختصار.

وترتبط معاني الجذر أيضا بالصوت وإصداره، جاء في تاج العروس: "أَزَّت السحابةُ تَئِزُّ أَزّاً وأَزِيزاً: صوَّتَت من بعيد، والأَزِيزُ صوت الرعد، أَزَّ الشيءَ يؤُزُّه أَزّاً وأَزيزاً مثل هَزَّه : حرَّكهُ شديداً"[٢٧].

وقال ابنُ سيّده: "وأما حديث سَمُرَةَ: (كسفتِ الشمسُ على عهد النبي صلى الله عليه وسلّم ، فانتهيتُ إلى المسجد فإذا هو يَأْزَزُ)[٢٨] فإن أَبا إسحاق الحربي(ت٢٨٥هـ) قال في تفسيره : الأَزَزُ : الامتلاء ، يريد امتلاءَ المجلِس"[٢٩]، وهذا معنى قائمٌ على المشاهدات الحسّية وعلى المعرفة بطبيعة المجتمع الإسلامي الأوّل وعاداته وأحكام دينه؛ فالمسلمون كانوا يُبادرون إلى صلاة الآيات وإلى التضرّع والاستغفار في المسجد النبويّ، لذا كان المسجد يمتلئ بهم، وعليه فالسياق غير اللغوي والاعتماد على العناصر غير اللغويّة من مشاهدات ومعرفة بالأحكام الإسلامية التي توجب صلاة الآيات وعادات المجتمع المبادر لتلك الصلاة في المسجد كان حاضرا في بيان معنى المفردة.

لقد أردف ابن سيّده بعد إيراده النصّ المتقدّم قولَه: "وأراه مما تقدّم من الصوت؛ لأَنّ المجلس إذا امتلأ كثُرت فيه الأصواتُ وارتفعت"[٣٠]، وحتّى إن كان المعنى مأخوذا من الصوت، نحو الأزيز: صوت الرعد، فما زال السياق غير اللغوي حاضرا بعناصره المذكورة آنفا؛ إذ كيف يُعرف امتلاء المسجد وكثرة الناس وتعالي أصواتهم وكثرتها بعيدا عن المعرفة بوجوب صلاة الآيات وطبيعة المجتمع المبادر لها في المسجد آنذاك.

– ء ي ي

واللفظة المبحوثة هي (آية) وهي في الأصل(أيّة) على وزن (فَعْلَة) فتكون حروفها (ء ي ي ة)، وقد ثقُل على العرب التشديد فأبدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد[٣١]، وقد أورد ابن فارس لفظ

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

(الآية) ضمن جذر الهمزة والياء والياء قال: "الهمزة والياء والياء أصلٌ واحد، وهو النَّظَر، يقال: تأيَّا يتأيَّا تَأَيِّياً، أي تمكَّث.... تأيّيْت الأمرَ: انتظرتُ إمكانَه. قال عديّ[٣٢]:

تَأَيَّيْتُ منهنّ المصيرَ فلم أزَل أُيَسِّرُ طِرفاً ساهِمَ الوَجهِ فارِعا

ويقال: ليست هذه بدار تَئِيّة، أي: مُقام.

وأصلٌ آخر، وهو التعمُّد، يقال تآيَيْتُ، على (تفاعَلت)، وأصله تعمَّدت آيَتَه وشخصَه، قال[٣٣]:

به أتآيا كُلَّ شأنٍ ومَفْرِقِ

وقالوا: الآية العلامة، وهذه آيةٌ مَأْيَاةٌ، كقولك علامة مَعْلَمَة"[٣٤]

وقال الرازي في معاني الآية: "العلامة والجمع: آي وآيات، وخرج القوم (بآياتهم) أي بجماعتهم"[٣٥].

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾[٣٦]، فقال ابن منظور بعد إيراده الآية الكريمة : "آيات أَي أُمور وعِبَرٌ مختلفة"[٣٧]، والآية معناها العلامة، وأمّا معنى (العِبر) فمستفاد من ملابسات أحداث سورة يوسف ومقامها وما جرى فيها من وقائع وأحداث؛ إذ هي بمجمل أحداثها مجموعة من العِبر والدروس المختلفة، ابتداء من ظهور الحقّ ولو بعد حين، إلى آفة الحسد وما تفعله في النفوس، إلى شرّ ذوي القُربى وإن كانوا أخوانا، إلى حكمة الإدخار في سني الخير، وغيرها الكثير؛ إذ هي فعلا لم تكن عبرة واحدة بل عبر مختلفة، لذا عبّر عنها القرآن الكريم بالآيات.

ب ت ر –

الباء والتاء والراء "أصلٌ واحد، وهو القطع قبل أن تتمَّه، والسيفُ الباتر القَطَّاع، ويقال للرجُل الذي لا عقِب له أَبتَر، وكلُّ من انقطع من الخَيْر أثرُه فهو أَبْتَر،... وخطب زيادٌ خطبتَه البتراء

لأنّه لم يفتتِحْها بحمدِ الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم"[٣٨]، ومعنى القطع قبل الإتمام حصرا فيه نظر إذ ستطالعنا أراءٌ أخرى للمعجميين، وقد كان ابن فارس فيه متأثّرا بالجوهري، ورد في تاج اللغة وصحاح العربية: "بَتَرتُ الشيءَ بَتْرًا: قطعته قبل الإتمام، والانْبِتار: الانقطاع، والباتِر: السيف القاطع، والأبْتَر: المقطوع الذنب"[٣٩].

قال الخليل: "البَتْرُ: قَطعُ الذنَب ونحوه إذا استأصلتَه"[٤٠]، فهو قطع على نحو الاستئصال، وليس القطع قبل تمامه، ومثله قال الصاحب بن عبّاد: "البَتْر: البَتْرُ: قَطعُ الذَّنَب ونحوه إذا استأصَلْتَه...والبُتَيْرَاءُ: الشمسُ، في الحديث"[٤١]، وقال الفيروزآبادي: البَتْرُ: استئصالُ الشيءِ قطعًا [٤٢].

وأضاف الأزهريُّ معنِى مهمّا حين قال: "وفي حديث عليّ: أنّه سئل عن صلاة الضحى، فقال: (حين تَبهَرُ البُتَيراءُ الأرضَ)...البتيراء الشمسُ"[٤٣]، وهذا معنى سياقي غير لغوي، بقرينة أنّ أمير المؤمنين سُئِلَ عن صلاة الضحى، فأجاب حين تبهر البتيراء الأرضَ، أي: حين ترتفع الشمس وتبهر الأرض بضوئها أي يغلب ويقوى ضوء الشمس ويسطع.

ب ح ر

جاء في الصحاح:" البَحرُ: خلاف البر، يُقال: سُمّي بحرا لعمقه واتساعه، والجمع أبحُر وبِحار وبُحور"[٤٤]، ويرتبط معنى البحر بالكثرة والاتساع ويقع على العذب والمالح خلافا لما هو سائد اليوم في أنّه مالح فحسب، قال الخليل: "البَحر: سُمِّيَ به لاستِبحاره، وهو انبساطه وسعته، وتقول: استَبحر في العلم، وتبحّر الراعي: وقع في رعْيٍ كثير.... وتبحَّر في المال، وإذا كان البحر صغيراً قيل له: بُحيرة، وأما البُحيرة في طَبريّة فإنها بحرٌ عظيم وهو نحوٌ من عشرة أميال في ستّة أميال"[٤٥] .

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويرتبط التبحير بشقّ الأُذن، والبحيرة عندهم: " كانت الناقةَ تُبحَر بَحراً، وتشقُّ أُذُنها، يفعل بها ذلك إذا نتجت عشرة أبطُن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها، فنهاهم اللهُ عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ما جَعَلَ اللهُ من بَحِيرة ولا سائبةٍ ولا وَصيلةٍ ولا حامٍ ﴾ (٤٦)، والسائبة التي تُسَبَّبُ فلا يُنتفع بظهرها ولا لبنها، والوصيلة في الغنم إذا وضعت أنثى تُركت، وإن وضعت ذكراً أَكله الرجال دون النساء، وإن ماتت الأنثى الموضوعة اشتركوا في أكلها، وإن وُلِدَ مع الميّتة ذكرٌ حيٌّ اتصلت وكانت للرجال دون النساء، ويسمُّونها الوصيلة"(٤٧).

إنّ الآية القرآنية تضمّنت أسماءً كثيرة: بحيرة وسائبة ووصيلة وحامي، ولم يكُن لأحد معرفة معانيها إن لم يكن عارفا بعادات المجتمع الجاهلي وأعرافه، إنّ نصّ العين مهمٌّ في بيانه تلك المعاني كلّها بالرجوع إلى عادات المجتمع الجاهلي ومفاهيمه، إنّها معاني قائمة على المعرفة بالعادات خارج اللغة، أي هي معاني سياقيّة غير لغويّة.

وفي اللفظ نفسه أورد الزبيدي معنى سياقيا غير لغوي آخر، إذ قال: "وممّا يُستدرك عليه، البحرُ: الفرات، قال عَدِيُّ بن زيد(٤٨) :

وتَأَمَّل رَبَّ الخَورنَقِ إِذْ أَشْ رَفَ يوماً ولِلْهُدَى تَذْكِيرُ
سَرَّه مالُه وكَثْرَةُ ما يَمْ لِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ

قالوا : أَراد بالبحرِ ها هنا الفرات ، لأنّ ربَّ الخورنق كان يُشرف على الفرات"(٤٩).

وهذا معنى سياقي غير لغوي قائم على معرفة جغرافيا المكان، وعلى معرفة تأريخ العرب ومواضع سكناهم.

ض ب ع –

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

إنّ "الضاد والباء والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على معانٍ ثلاثة: أحدها جنسٌ من الحيوان، والآخر عضو من أعضاء الإنسان، والثالث صفة من صفة النُّوق، فالأوّل الضبُع، وهي معروفة"(٥٠)، وأشار ابن دريد إلى أن "الضبع: اسم لهذا السبع المعروف والأنثى ضَبْعَة، والذكر ضِبْعَان فإذا جمعت قلت: ضِباع، غلب التأنيث التذكيرَ في هذا الحرف"(٥١).

وذكر ابن سيّده أنّ من معاني "الضبع: الشرّ، قال ابن الأعرابي: قالت العقيلية: كان الرجل إذا خفنا شرّه، فتحوّل عنّا، أوقدنا نارا خلفه. قال: فقيل لها: ولم ذلك؟ قالت لتحوّل ضبُعُه معه، أي ليذهب شرُّه معه"(٥٢)، فكأنّ الضبع شرٌّ دائم فشبّه الشرُّ به.

وجاء في تهذيب اللغة: " الضَّبْع من الأرض : أكمة سوداءُ مستطيلة قليلاً، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنّ رجلاً أتاه فقال : (يا رسولَ الله أكلَتْنا الضَّبُع)(٥٣) قال أبو عبيد : الضَّبُع هي السنة المُجدِبة"(٥٤)، ويُلحظ أنّ المقام والمشاهدات الحسّية هي التي أفادت الخروج عن المعنى الأساسي للضبع بوصفه حيوان معروف؛ فكيف أكلتهم الضبع، وهم واقفون أمامَه؟!! فضلا عن أنّ تتمّة الحديث وردَّ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل دعائه للرجل كان معطًى صريحا بأنّ المقصود هو الجدب، ورد في غريب الحديث والأثر عن النبيّ (ص): "أنّ رجلا أتاه، فقال: يا رسول الله، قد أكلتنا الضبُع، فقال: غيرُ ذلك أخوفُ عندي، أن تصُبَّ عليكم الدنيا صبًّا"(٥٥)، فآخرُ الحديث جليُّ الإشارةِ إلى أنّ الضبُع في النصّ هو الجَدب.

ع ص ف ر

"العُصْفُر: نبات، وهذا إن كان معرّبا فلا قياس له، وإن كان عربيا فمنحوت من عصر وصفر، يراد به عصارته وصفرته"(٥٦)، والعُصفُور: "طائر ذكَر، والعُصفور: الذكر من الجراد، والعُصفُور: الشِمراخ السائل من غُرَّة الفرس لا يبلغ الخَطم، والعُصفورُ: قُطَيعة من الدِماغ تحت

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

فَرخ الدِماغ، كأنّه بائن منه، بينهما جُليدة تفصله،... والعُصفور في الهودج: خشبة تجمعُ أطرافَ خشباتٍ فيها، وهي كهيئة عُصفور الإكاف"(٥٧).

وقال ابن منظور: " وأَما ما رُوي: أَن النعمان أَمَرَ للنابغة بمائة ناقة من عَصافِيرِه، قال ابن سيّده: أَظنّه أَرادَ من فَتايا نوقِه، قال الأَزهري: كان للنعمان بن المنذر نجائبُ يقال لها عَصافير النعمان"(٥٨)، وقد تعمّدت أن أنقل كلام ابن منظور على الرغم من أنّه نقل عمّن قبله، ولكني أردتُ أن أُبيّن كيف استعان بالعلماء من قبله وبمرويّاتهم التأريخية التي تتّصل بمعنى من المعاني، إنّ (عصافير النعمان) لم نكن سنعرفها من دون وثائق تأريخيّة مقدّمة تُعيننا على فهم النصّ، فلمعرفة التأريخ أهميّة كبرى ولا سيّما في النصوص القديمة.

ولأهميّة النص التأريخيّ نجد أنّ الجوهريّ قد نقل نصا آخر، إذ "قال حسّان بن ثابت: فما حسدتُ أحدا حسدي للنابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من نوق عصافيره، وجامٍ وآنية من فضة "(٥٩)، وهذا نصٌّ آخر ينفع في معرفة دلالة الكلمة، فعصافير المنذر ليست طيورا وإنّما إبل نجيبة كانت تسمّى عصافير.

— ك ت م

إنّ "الكاف والتاء والميم أصل صحيح يدلُّ على إخفاء وستر، من ذلك: كَتَمت الحديثَ كَتْماً وكِتماناً، قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ (٦٠) ويقال: ناقةٌ كَتومٌ: لا تَرغو إذا رُكبت قوّةً وصبراً، ... وسحابٌ مُكْتَتِم: لا رعد فيه، وخَرْزٌ كَتِيمٌ: لا ينضَح الماء، وقوسٌ كَتوم: لا ترنُّ، وأمّا الكَتَم، فنباتٌ يُختضَب به"(٦١).

وجاء في لسان العرب: "في حديث زمزم أَنّ عبد المطلب رأَى في المنام أن قيل: احْفِر تُكْتَمَ بين الفَرْث والدم، تُكْتَمُ: اسمُ بئر زمزم، سمِّيت بذلك لأنها كانت اندفنت بعد جُرْهُم فصارت

مكتومة حتى أَظهرها عبد المطلب"[٦٢]، ولو نظرنا إلى النصّ بعيدا عن المعطيات غير اللغويّة لم نصل إلى غير أنّ هاتفا أمر جدّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في المنام أن يحفر شيئا اسمه تَكْتُم، ولكن الوقوف على العناصر غير اللغويّة هو الذي أفاد بأنّ القصد هو حفر بئر زمزم، فزمزم في مكّة، وعبد المطلب كبير أهل مكّة في زمانه، وبئر زمزم كانت مطموسة لا يُعرف مكانها، كل هذه معطيات غير لغويّة أفادت المعنى وأكّدته.

الخاتمة:

مما تقدّم يمكنني أن أوجز نتائج البحث في الآتي:

١. السياق لغة هو سواق الإبل يقدمها ومنه رويدك سوقك بالقوارير إذا تتابعت.

٢. وفي الاصطلاح هو المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية.

٣. السياق غير اللغوي هو ما ينتظم من القرائن المقامية التي تفسر الغرض الذي جاء النص لإفادته, سواء أكانت قرائن عقلية في الخطاب ذاته أم في المتكلم أم في المخاطب.

٤. عناصر السياق غير اللغوي تتكون من المتكلم الذي هو العنصر الأساسي في الموقف الكلامي, والمتلقي الذي لا تظهر قيمة الكلام إلا من خلاله, وملابسات الكلام التي تؤدي إلى تكييف الخطاب بحسب تداعيات المقام.

٥. السياق غير اللغوي في المعجمات قائم في الغالب على العناصر اللغوية المقامية التي تعتمد على معرفة المقام وقضايا التأريخ والجغرافية والمحيطات النصية الأخرى.

٦. إذ يندر وقوع معنى سياقي غير لغوي قائم على اعتبار المتكلم أو المتلقي.

الهوامش:

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣١٦.

(٢) مقاييس اللغة:(سوق) ٣/ ١١٧.

(٣) مجمع بحار الأنوار: ٣/١٥١.

(٤) لسان العرب:(سوق) ١٠/ ١٦٦.

(٥) تاج اللغة وصحاح العربيَّة:(سوق) ١/٢٧٠.

(٦) لسان العرب:(سرد) ٣/٢١١.

(٧) ترتيب إصلاح المنطق: ٤١٦.

(٨) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: ٢٦ – ٢٧.

(٩) ينظر:السياق القرآني وأثره في التفسير (رسالة ماجستير): ٦٤.

(١٠) دلالة السياق(أطروحة): ٥١.

(١١) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٤.

(١٢) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: ٧٣، وينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ٦٨-٦٩.

(١٣) ينظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ٢١٤.

(١٤) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧٠، وينظر: علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: ٢٥٣.

(١٥) ينظر: السياق في فكر سيبويه: ٤.

(١٦) البيان في روائع القرآن: ٢٢١.

(١٧) ينظر: مناهج البحث اللغوي: ١٧٤.

(١٨) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي: ١٣٥.

(١٩) ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: ٨٦-٨٧.

(٢٠) مفتاح العلوم:١/٢٢٦ .

(٢١) البيان والتبيين : ١/ ١١٤.

(٢٢) مقاييس اللغة:(ءزز) ١٣/١.

(٢٣) مريم: ٨٣.

(٢٤) تهذيب اللغة:(ءزز) ١٩٢/١٣.

(٢٥) المحيط في اللغة:(ءزز) ١١٤/٩.

(٢٦) الجيم:(ءزز) ٨٤/٢.

(٢٧) تاج العروس:(ءزز) ١٣/١٥.

(٢٨) غريب الحديث، للحربي: ٩٧٩/٣.

(٢٩) المحكم والمحيط الأعظم:(ءزز) ٦٩/٩.

(٣٠) المصدر نفسه:الصفحة نفسها.

(٣١) ينظر: تاج العروس: (الآي) ٣٧/ ١٢٤.

(٣٢) ديوان عدي بن زيد: ١٤٠.

(٣٣) المعجم المفصل في شواهد العربية: ٤٤٥/١٢.

(٣٤) مقاييس اللغة:(الأَي) ١٦٧/١-١٦٨.

(٣٥) مختار الصحاح: (الآي) ١/ ٢٧.

(٣٦) يوسف: ٧.

(٣٧) لسان العرب:(الأَي) ٦٢/١٤.

(٣٨) مقاييس اللغة:(بتر) ١٩٤/١.

(٣٩) تاج اللغة وصحاح العربية:(بتر) ٥٨٤/٢.

(٤٠) العين:(بتر) ١١٧/٨.

(٤١) المحيط في اللغة:(بتر) ٤٣٠/٩.

(٤٢) ينظر: القاموس المحيط:(بتر) ٣٤٥/١.

(٤٣) تهذيب اللغة:(بتر) ١٤/١٩٧.

(٤٤) تاج اللغة وصحاح العربية:(بحر) ٢/٥٨٥.

(٤٥) العين:(بحر) ٣/٢١٩-٢٢٠.

(٤٦) المائدة: ١٠٣.

(٤٧) العين:(بحر) ٣/٢٢٠.

(٤٨) ديوان عدي بن زيد: ٨٩.

(٤٩) تاج العروس:(بحر) ١٠/١٢٨.

(٥٠) مقاييس اللغة:(ضبع) ٣/٣٨٧.

(٥١) جمهرة اللغة:(ضبع) ١/٣٥٣.

(٥٢) المحكم والمحيط الأعظم: (ضبع) ١/ ٤١٧.

(٥٣) جامع المسانيد والسنن: ١٠/٤٦٨، وينظر: المسند الجامع: ١٨/٦١٠.

(٥٤) تهذيب اللغة:(ضبع) ١/٣٠٧.

(٥٥) الفائق في غريب الحديث والأثر:(ضبع) ٢/٣٢٦.

(٥٦) مقاييس اللغة:(عصفر) ٤/٣٦٩.

(٥٧) العين:(عصفر) ٢/٣٣٥.

(٥٨) لسان العرب: (عصفر) ٤/ ٥٨٢.

(٥٩) تاج اللغة وصحاح العربية:(عصفر) ٢/٧٥١.

(٦٠) النساء: ٤٢.

(٦١) مقاييس اللغة:(كتم) ٥/١٥٧.

(٦٢) لسان العرب:(كتم) ١٢/٥٠٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، لعبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٢. البيان في روائع القرآن دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، لتمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣. البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ(٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تح:مجموعة من المحققين، دار الهداية،(د.ت).

٥. ترتيب إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكِّيت(ت٢٤٤هـ)، تح:محمد حسن، ط١، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٦. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم-دراسة دلالية مقارنة، لعودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت٣٧٠هـ)، تح:محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت٢٠٠١م.

٨. جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَ، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، تح:عبدالملك بن عبدالله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-مكتبة النهضة الحديثة-مكة المكرمة، ط٢، بيروت ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩. جمهرة اللغة، لأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأسدي(ت٣٢١هـ)، تح:رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت١٩٨٧م.

١٠. الجيم، لأبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء(ت٢٠٦هـ)، تح:إبراهيم الأنباري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د.ط)، القاهرة١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١١. دور الكلمة في اللغة، لستيفن أولمان، ترجمهُ وقدم له وعلق عليه كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
١٢. ديوان عدي بن زيد العباد، تح:محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والتوزيع، بغداد ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
١٣. السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي، لعرفة عبد المقصود عامر حسن، شبكة الألولَة.
١٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت٣٩٣هـ)، تح:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٥. العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، لحلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦م.
١٦. علم الدلالة، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٥، القاهرة١٩٩٨م.
١٧. علم اللغة مقدمة للقارىء العربي، لمحمود السعران، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة١٩٩٧م.
١٨. العين، لأبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت١٧٠هـ)، تح:مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط).
١٩. غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق(١٩٨-٢٨٥هـ)، تح:سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط١، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٠. الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تح:علي محمد البجاوي, محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢، لبنان (د.ت).
٢١. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزاَبادي (ت٨١٧هـ)، تح:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف،محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط٨، بيروت١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٢. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(٧١١هـ)، (د.تح)، دار صادر ،ط٣، بيروت١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٣. اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان عمر، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٤. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي(ت٩٨٦هـ)، (د.تح)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٢٥. المحكم والمحيط الأعظم، لأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيّده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٦. المحيط في اللغة، للصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني(ت٣٨٥هـ)، عالم الكتب، لبنان، ط١، بيروت١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٧. مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ)، تح:يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، صيدا، ط٥، بيروت١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٨. المسند الجامع، لبشار عواد, السيد أبو المعاطي النوري, أحمد عبدالرزاق عيد وغيرهم، تح:محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، ط١، بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٩. المعجم المفصل في شواهد العربية، لإميل بديع يعقوب، دار الكتب العربية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٠. مفتاح العلوم، ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب(ت٦٢٦هـ)، ضبطهُ وكتب هوامشهُ وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣١. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،(د.ط)،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٢. مناهج البحث اللغوي، لتمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.

٣٣. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، لعبد النعيم خليل، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

الرسائل والأطاريح الجامعيَّة

* دلالة السياق، أطروحة دكتوراه لردَّة الله بن ردَّة، جامعة أم القرى،١٤٢٤هـ.

* السياق القرآني وأثره في التفسير-دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير لعبد الرحمن عبد الله سرور جرمان، كلية الدعوة وأصول الدين/جامعة أم القرى،٢٠٠٨م.